من اسرار امر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء
الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية
فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد ان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول
بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء
والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان
اعمال العمر كلها ضايعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي خرج عليه الروح وان سلامته مع اضطراب
امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف
هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن
وقد مات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري
يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته
في لجة البحر وهجمت الرياح العاصفة عليه واضطربت الامواج كانت النجاة ابعد من الهلاك وقلب المؤمن
اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما المخوف عند الموت
خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة
حتى لا يبقى بينه وبينها الا فواق ناقة فيختم له بما سبق له الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب
الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رأيت كأني
ادخلت الجنة فرأيت ثلثماية نبي فسألتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة
ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطة وكان موت الفجاة مكروها اما الموت فجاة
فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن امثاله الا ان يدفع
بالكراهة او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق

للقلب

٩٠

للقلب فيها سوى حب الله وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب
اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله تعالى وطلبا لرضاه وبايعا دنياه
بآخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد حب العوض المطلوب
في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها
فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة وطلب الصيت
بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت على ذلك
الاخبار واذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب
على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك
واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه
فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول ساستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك
خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك ان تهمله لحظة فلعل
تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر
والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان
بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه
وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا يبعث من نومك الا ما غلب على قلبك في نومك والبعث
شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه
فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث
حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب

Copyright © King Saud University